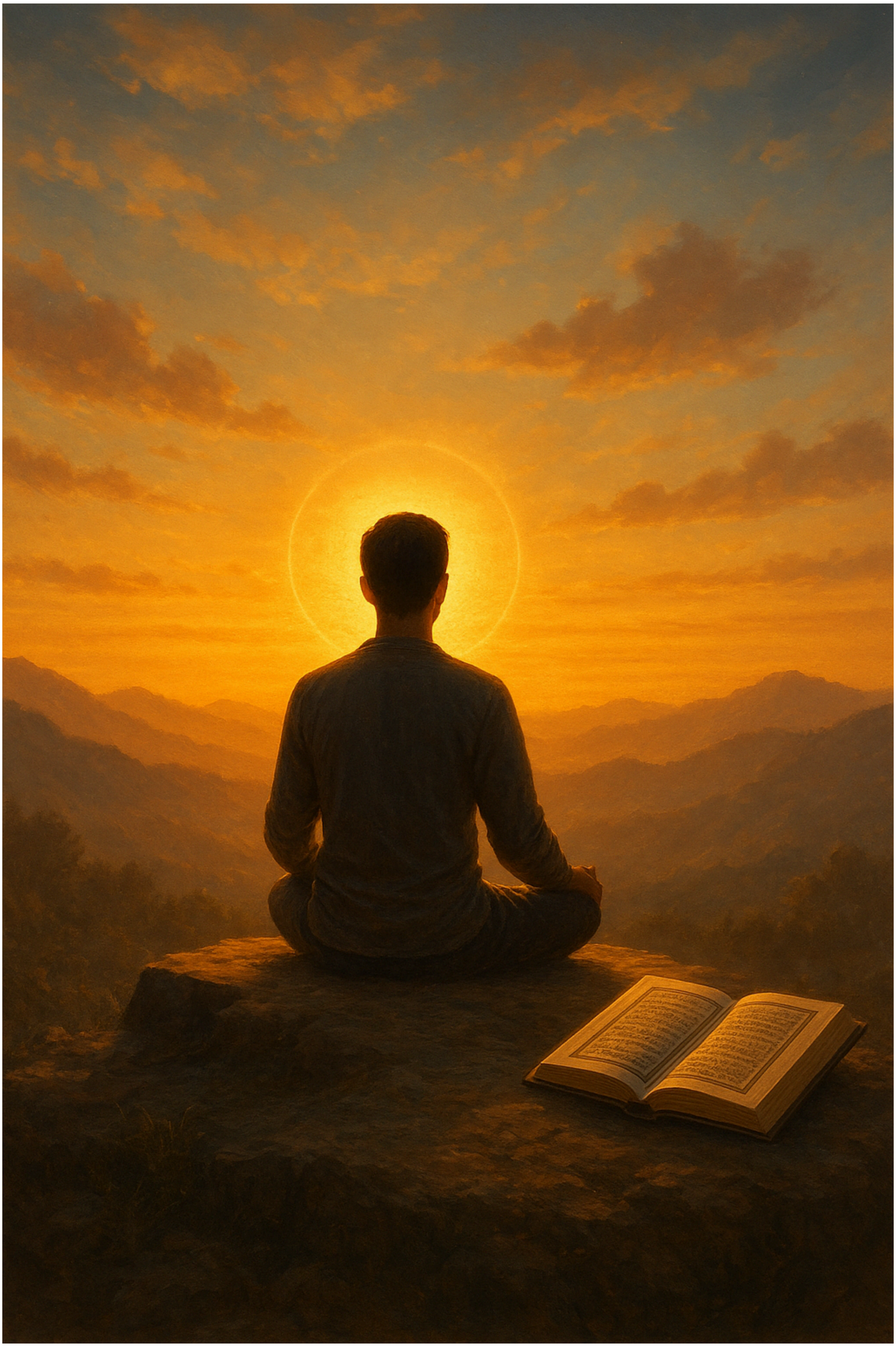


الإيمان الواعي
الأستاذ عبد الإله الغياثي
ألمانيا 2025

الإيمان الواعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان الواعي يعني أن يكون الإيمان مبنيًّا على العلم، والفهم، واليقين، لا على التقليد الأعمى أو العاطفة العابرة. وهو إدراك واعٍ لحقيقة الإيمان بالله تعالى وما يتضمنه من توحيد، وعبودية، واستسلام ظاهر وباطن لأوامره، مع إدراك آثار ذلك على النفس والسلوك.

أولًا: معنى الإيمان الواعي

- لغةً: الوعي هو الإدراك التام والفهم العميق للأمور.
- اصطلاحًا: هو الإيمان الذي يقوم على العلم والبصيرة، كما قال تعالى:

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف: 108)
أي إدراك عميق لحقيقة التوحيد ومعرفة أركانه وأدلته وآثاره.

- يختلف عن الإيمان الفطري البسيط الذي قد يكون مجرد قبول عام دون فهم عميق.

ثانيًا: أثر الإيمان الواعي على المشاعر

الإيمان إذا كان واعيًا ينعكس مباشرة على الحالة الشعورية للإنسان:

1. الطمأنينة والسكينة:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)

إدراك أن كل شيء بيد الله يُوَلِّدُ السكينة ويخفف القلق والخوف.

2. الرضا واليقين:

الإيمان العميق يولد شعورًا بالرضا بقضاء الله وقدره.

3. الأمل والثقة:

المؤمن الواعي لا ييأس لأنه يدرك أن الله حكيم رحيم وأن بعد العسر يسرًا.

4. توازن العاطفة:

لا إفراط في الفرح ولا يأس في الحزن، لقول النبي ﷺ:

"عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير..." (رواه مسلم)

ثالثًا: أثر الإيمان الواعي على السلوك

1. الالتزام الشرعي:

يدفع المؤمن إلى تطبيق أوامر الله بوعي لا عادة، امتثالًا لقوله:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: 5)

2. الإحسان في العمل:

لأن المؤمن يدرك قوله ﷺ:

"إن الله كتب الإحسان على كل شيء..." (رواه مسلم)

3. التحكم في السلوك والانفعالات:

فيصبح أكثر صبرًا وحلمًا وحكمة.

4. التفاعل الإيجابي مع المجتمع:

عبر الصدق، العدل، الرحمة، والتعاون، كما قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: 2)

رابعًا: التأصيل الشرعي من القرآن

- البصيرة والعلم:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: 19)

- التفكر والتدبر:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 190-191)

- الثبات في الإيمان:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ...﴾ (إبراهيم: 27)

خامسًا: التأصيل من السنة النبوية

- حديث جبريل المشهور في بيان مراتب الإيمان والإحسان:

"أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك." (رواه مسلم)

- دعاء النبي ﷺ:

"اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد..." (رواه أحمد)

- حديث النبي ﷺ:

"من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين." (رواه البخاري ومسلم)

دلالة على أن الوعي والفهم دليل على تميز الإيمان.

سادسًا: التأصيل من الفقه

- الفقهاء أكدوا أن الإيمان لا يكون صحيحًا إلا بالعلم والمعرفة، وأن الجهل بما يجب لله أو رسوله يقدح في كمال الإيمان.
- قال الإمام ابن تيمية: "الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح"، أي أن إدراك القلب يسبق حركة الجوارح.
- واعتبر الغزالي أن العلم بالله ومعرفته أساس تزكية النفس وتقويم السلوك.

فعندما نقول:"أكَّد الفقهاء أن الإيمان لا يكون صحيحًا إلا بالعلم والمعرفة" نعني أن الإيمان ليس مجرد تصديق سطحي أو عاطفة لحظية، بل هو تصديق مبني على علم بأركان الإيمان وأحكام الدين الأساسية، مع إدراك معنى التوحيد وواجبات العبودية لله تعالى.ولذلك فإن الجهل بما يجب لله أو رسوله قد يقدح في صحة الإيمان أو كماله بحسب نوع الجهل وحجمه.

1. توضيح الفكرة

- الإيمان علمي وعملي: لا يقتصر على الشعور الداخلي بل يعتمد على معرفة صحيحة بالله وأسمائه وصفاته ورسله وشرائعه.

- الجهل قد يقدح في أصل الإيمان أو في كماله:

  - الجهل المانع من أصل الإيمان: مثل الجهل بوجود الله أو رسالته أو إنكار ما هو معلوم بالضرورة من الدين.
  - الجهل الذي يقدح في كمال الإيمان: مثل الجهل بتفاصيل الأحكام أو قصور الفهم في بعض أبواب الدين مع وجود أصل الإيمان.

2. أقوال الفقهاء والعلماء

ابن تيمية

قال في مجموع الفتاوى (7/637):
"الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فلا يكون مؤمنًا إلا من علم ما جاء به الرسول تصديقًا وانقيادًا."

ابن القيم

في مدارج السالكين (1/107):
"فالإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية."
يؤكد أن المعرفة أصل الإيمان، فبدون علم لا يتحقق اليقين.

النووي

في شرح صحيح مسلم (1/149):
"أجمع أهل السنة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح."
يعني أن مجرد النطق بلا فهم أو علم لا يحقق حقيقة الإيمان.

الغزالي

في إحياء علوم الدين (1/93):

"فمن لم يعرف حقيقة التوحيد ولم يتيقن بمعناه كان في خطر عظيم، فإن الإيمان لا يتم إلا باليقين."

3. أمثلة توضيحية

أولًا: جهل يقدح في أصل الإيمان

- شخص ينكر أن الصلاة واجبة أو أن القرآن كلام الله، مع قيام الحجة عليه.

- قال تعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ (النساء: 115)

ثانيًا: جهل يقدح في كمال الإيمان

- مسلم يحب الله ورسوله لكنه يجهل تفاصيل أحكام الزكاة أو بعض مسائل الفقه.

- هذا لا يخرجه من الإسلام، لكنه يضعف كمال إيمانه ويؤثر على سلوكه.

- مثال: رجل يصلي لكن يجهل أركان الصلاة، فيؤديها ناقصة؛ صلاته صحيحة مع النقص.

ثالثًا: أثر العلم على قوة الإيمان

- شخص يتعلم أسماء الله وصفاته فيزداد يقينًا وخشية، مصداقًا لقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 28)

4. خلاصة توثيقية

الحالة	أثر الجهل	الحكم الشرعي
الجهل بأصل التوحيد أو إنكار ما هو معلوم بالضرورة	يقدح في أصل الإيمان	كفر أكبر
الجهل ببعض الفروع مع أصل الإيمان	ينقص كمال الإيمان	لا يخرج من الإسلام
العلم بأسماء الله وصفاته وأحكام الدين	يقوي الإيمان ويزيده	من كمال الإيمان

توضيح وتوثيق وأمثلة تطبيقية لقول ابن تيمية ثم لقول الغزالي في هذا الباب:

قول ابن تيمية: «الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح»

التوضيح:

- قول القلب: هو التصديق والمعرفة، أي إدراك القلب لحقيقة التوحيد والإقرار الداخلي بربوبية الله وألوهيته وصفاته.
- قول اللسان: هو النطق بالشهادتين والإقرار الظاهر.
- عمل القلب: مثل الإخلاص، المحبة، التوكل، الخشية، الإنابة.
- عمل الجوارح: مثل الصلاة، الزكاة، الصيام، الجهاد، بر الوالدين.

فالقلب هو المحرّك الأساس للجوارح؛ فإذا امتلأ القلب بالعلم واليقين، انقادت الجوارح للطاعة، وإذا ضعف القلب أو جهل، ضعف السلوك.

التوثيق :

- المصدر: مجموع الفتاوى (7/637):

"والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية."

أمثلة

1. إيمان واعٍ يظهر في السلوك

شخص يتعلم أن الصدقة تطفئ غضب الله، فيزداد حبًّا للبذل والعطاء.

هنا قول القلب (العلم) حرّك عمل الجوارح (الصدقة).

2. إيمان ناقص بسبب ضعف العلم

مسلم يصلّي لكن بلا تدبر معاني الفاتحة أو أركان الصلاة؛ عبادته صحيحة، لكن أثرها ضعيف في سلوكه لأنه يفتقد قول القلب العميق.

3. إيمان متين يزيد الثبات

صحابي مثل بلال بن رباح رضي الله عنه، تمسك بالتوحيد رغم التعذيب، لأن قلبه امتلأ يقينًا فثبتت جوارحه على كلمة الحق.

قول الغزالي: «العلم بالله ومعرفته أساس تزكية النفس وتقويم السلوك»

التوضيح:

- الغزالي يرى أن الإيمان بلا علم يبقى سطحيًّا أو عاطفيًّا، ولا يثمر تزكية حقيقية للنفس.
- العلم بالله وأسمائه وصفاته يزيد الخشية والمحبة، فينعكس ذلك على تهذيب الأخلاق وضبط السلوك.

التوثيق:

- المصدر: إحياء علوم الدين (1/93):

"فمن لم يعرف حقيقة التوحيد ولم يتيقن بمعناه كان في خطر عظيم، فإن الإيمان لا يتم إلا باليقين."

أمثلة:

1. تزكية النفس بالعلم

شخص يعلم أن الله "الرقيب" فيتجنب الخلوات المحرّمة ويستحيي أن يراه الله على معصية.

العلم باسم الله الرقيب زكّى قلبه وضبط سلوكه.

2. تصحيح السلوك بالمعرفة

مسلم كان يغتاب الناس، ثم تعلّم خطورة الغيبة وأنها "أكلٌ للحم الميت"، فتوقف عنها طلباً لرضا الله.

هنا العلم قاد إلى تغيير عملي في السلوك.

3. ترقية الإيمان باليقين

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يبكي إذا قرأ قول الله تعالى:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات: 24)

لأنه يعلم يقينًا أنه سيقف للحساب، فانعكس ذلك في ورعه وتقواه.

العلاقة بين العلم والسلوك

الجانب	بدون علم	مع علم واعٍ
العبادة	روتين بلا أثر	خشوع وإخلاص
الأخلاق	تقلبات وضعف ضبط النفس	ثبات واتزان
التعامل مع البلاء	جزع أو يأس	صبر ورضا
الدعوة	سطحية أو مغلوطة	حكمة وبصيرة

الإيمان الواعي يحتاج لقلب يتقبله بيقين:

مثال تاريخي وكيف يمكن أن يتكرر

الآيات من سورة المدثر (الآيات 11 – 30):

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

1. من هو الرجل المذكور؟

أجمع المفسرون أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي، والد خالد بن الوليد رضي الله عنه.

- كان من أغنياء قريش وأهل مكانة وسلطة.
- سمع القرآن من النبي ﷺ، وعرف في قلبه أنه ليس كلام بشر، لكنه جحده استكبارًا خوفًا على مكانته وزعامته.

قال ابن كثير في تفسيره:

«كان الوليد يسمع القرآن فيرق له قلبه، فتواطأ عليه كفار قريش وقالوا: قولوا فيه قولًا يصدّ الناس عنه. فقال: هذا سحر يؤثر» (تفسير ابن كثير، المدثر 11-30).

2. حالته النفسية

من خلال سياق الآيات، تتضح ملامح شخصيته ونفسيته:

الوصف	التحليل النفسي
مغرور بماله ومكانته	شعور بالعظمة يجعله يرفض الحق.
طمع وجشع	رغم غناه، يطلب المزيد: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾.
عناد للحق	رفض آيات الله رغم علمه بصدقها: ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾.
تفكير ملتوي	خطط لإطلاق وصف باطل عن القرآن: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾.
توتر داخلي	يظهر في تعابير وجهه: ﴿عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ أي تغيّر وجهه من شدة التفكير والاضطراب.
استكبار	أدبر عن الحق عن وعي واختيار: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾.

3. كيف تظهر هذه الحالة في المجتمع الإسلامي اليوم

هذه الحالة النفسية والسلوكية قد تتكرر بين المؤمنين أو المنتسبين للإسلام إذا ضعف الإيمان الواعي وبرزت أمراض القلوب، مثل:

أ. الغرور بالمكانة أو المال

- شخص يرفض النصيحة أو التوجيه الشرعي لأنه صاحب نفوذ أو علم دنيوي.
- مثال: عالم أو مسؤول يرد الحق إذا خالف مصالحه الشخصية.

ب. الطمع في المزيد

- التعلق الزائد بالدنيا على حساب الآخرة.
- مثال: رجل غني يتهرب من الزكاة أو يرفض تمويل مشاريع خيرية طمعًا في تراكم المال.

ج. العناد للحق

- رفض الأدلة الشرعية أو النصوص الصحيحة بحجة الهوى أو التقليد.
- قال تعالى:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: 14).

د. التفكير الملتوي لتبرير الباطل

- تبرير المعاصي باسم الحرية أو "تطور العصر".
- أو تسويغ الربا والمعاملات المحرمة بحجج اقتصادية واهية.

هـ. التوتر الداخلي

- الشعور بالقلق والاضطراب النفسي نتيجة الصراع بين الفطرة التي تعرف الحق، والهوى الذي يقاومه.

4. العلاج الشرعي لهذه الحالة

المشكلة	الدواء من القرآن والسنة
الغرور	التواضع وتذكر قوله ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر." (رواه مسلم)
الطمع	تربية النفس على القناعة والزهد، وتدبر قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ (القصص: 77)
العناد	الإقبال على القرآن بتدبر وطلب الهداية، والدعاء بالثبات.
التفكير الملتوي	التعلم الشرعي على أيدي العلماء الموثوقين لتصحيح المفاهيم.
الاضطراب النفسي	الإكثار من الذكر والدعاء والاستغفار، لقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)

5. الخلاصة

الوليد بن المغيرة مثال لشخص:

- عرف الحق بعقله لكن رفضه بقلبه بسبب الكبر والطمع.
- هذه الحالة ليست تاريخية فقط، بل يمكن أن تتكرر في المجتمع الإسلامي إذا غاب الإيمان الواعي وضعف تزكية النفس.

خلاصة عامة

الإيمان الواعي هو إيمان عالِمٍ لا مقلِّد، يثمر طمأنينة قلبية وسلوكًا مستقيمًا متوازنًا. وهو ما دعا إليه القرآن والسنة وأكده الفقهاء، لأنه يربط العقل والقلب والسلوك بالله في انسجام تام.

دعاء

اللهم جدد الإيمان في قلوبنا، اللهم يا مقلب القلوب صرّف قلبي على طاعتك، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد. اللهم إني أسألك علما نافعا وقلبا خاشعا ويقينا دائما، اللهم أعني على فهم أركان الإيمان واستحضار ذلك في أدعيتي وفي كل أحوالي. اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد .

الفهرس